النظام السياسي في الإسلام

إعداد: د. موسى معطان د. منى رفعت

١- العلاقات السياسيّة الداخليّة

وتشتمل هذه الوحدة على العناوين التالية:

١- تنظـيم الإسـلام للجانـب السياسي

٢- أهـم مبـادئ الإسـلام ومقاصده في نظام الحكم

أوَّلاً: تنظيم الإسلام للجانب السياسي

إنّ الإسلام دين شامل ، نظّم كلّ شؤون الحياة وجوانبها بما في ذلك شؤون الحكم والدولة والسياسة، وتميّز بهذا النظام عن كلّ النظم الوضعيّة.

يزعم بعض الناس أنّ الإسلام إنما جاء لينظّم علاقة الإنسان بربّه، ويوجّهه إلى العمل لآخرته ليس أكثر، فالإسلام - بزعمهم- دين لا دولة، وآخرة لا دنيا، وسلطته محصورة في المحراب لا تجاوز جدرانه، وسيطر فريق من هؤلاء على نظم الحكم في العالم الإسلامي، وطبّقوا نظم الاستعمار ونحّوا الإسلام بعيداً.

والحقيقة أنّ إقامة نظام يحكم بالإسلام، هو من ضرورات الدين القاطعة الواضحة، التي لا يسع أحداً إنكارها، وممّا يدل على ذلك:

الرد الأول

١- تضافرت النصوص قاطعة الثبوت والدلالة التي تأمر بالحكم بالإسلام، وتشدد في النكير على من لا يُحَكِّم الإسلام في كلّ شؤون الحياة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ النساء: ٦٠

الرد الثاني

٢- الأمر بإقامة بعض أحكام الإسلام، يقتضي وجود دولة إسلاميّة تُطبّق ذلك.

لأنه إذا كانت بعض معالم الإسلام مثل الصلاة، يُمكن أن تُقام على المستوى الفردي دون دولة، فإنّ جانباً من أحكام الإسلام لا يمكن أن يُقام دون وجود دولة تُقيمُه، مثل:

إقامة العدل، والقضاء بين الناس، والجهاد، والنظام الجنائي، ومعلوم أنّ ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

الرد الثالث

٣- تضافرت نصوص كثيرة تشتمل على مفردات النظام السياسي وتأمر بإقامته، مثل:

أ-النصوص التي ذكرت الإمام العادل.

ب- والنصوص التي ذكرت البيعة، مثل قول النبي ﷺ : « من مات وليس في عنقه بيعة ، مات مِيتةً جاهلية».

الرد الرابع

٤- أسس النبي ﷺ دولة ونظام حكم، ونظّم شؤون الأمة، وأرسى قواعد العدل في المجتمع، وقاد الجيوش، وكاتب الملوك، وأرسل السفراء.

وعلى هدي النبي ﷺ سار صحابته من بعده، وأقاموا دولة ونظام حكم، حتى إنهم انشغلوا عن دفن النبي ﷺ بأمر تعيين خليفة من بعده، دلالة على أهميّة وجود دولة إسلاميّة ونظام حكم إسلامي، وكذلك فعل المسلمون وأقاموا دولة الإسلام قروناً متطاولة.

ثانياً: مبادئ الإسلام ومقاصده في نظام الحكم

الحاكميّة لله تعالى

العدل

البيعة والاختيار

الشورى

ضمان الحقوق والحريات العامة

١- الحاكميّة لله تعالى

تستند الدولة الإسلامية إلى أحكام الشريعة، وهذه الأحكام تنطبق على الحاكم والمحكوم على حد سواء، فالحاكم:

١- منفِّذ للأحكام وليس مشرّعاً لها.

٢- ليس له امتيازات خاصة تبيح له ما هو محظور على الناس.

٣- وينطبق عليه ما ينطبق على غيره من الأمة.

٤- الحاكم يكتسب الشرعيّة بقدر ما يكون مطبّقاً لهذه الأحكام، ويفقدها بقدر ما يتنكّر لهذه الأحكام، كما قال النبي ﷺ: «لا طاعة في معصية إنما الطاعة في معروف».

وقال أبو بكر رضي الله عنه: « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم».

٢- العدل

العدل أساس كل حكم صالح وناجح، وقد أمر الإسلام الحاكمين بالعدل بين الناس.

- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨

وقد وعد الإسلام الحاكم العادل بالأجر العظيم عند الله تعالى، حتى جعل الإمام العادل مع الذين يظلّهم الله بظلّه يوم القيامة، يوم لا ظلّ إلا ظله تعالى، كما توعّد الظالمين بأوخم العواقب في الدنيا وأشدّ العذاب في الآخرة.

فنظام الحكم الإسلامي هو النظام الذي يوصل الحقوق إلى أصحابها، ويُنصف المظلومين والمستضعفين، ولا يعتدي على الناس بغير حق، ويتنزّه عن إهدار المال العام أو أكله بالباطل.

٣- البَيعة والاختيار

المقصود بـ (البيعة والاختيار) :

التعاقد الاختياري بين الأمة والحاكم، على أساس التزام الحاكم بمبادئ النظام السياسي في الإسلام، والتي منها رعاية الحكام لمصالح الرعيّة، وفي المقابل يلتزم أفراد الأمة بطاعتهم بالمعروف، ما داموا ملتزمين بتلك المبادئ.

١- فالحاكم في الإسلام لا ينصّب حاكما، إلا باختيار الناس ورضاهم، والنبي ﷺ نفسه، لم يأتِ إلى المدينة المنوّرة إلا باختيار أهلها ورضاهم ورغبتهم في تحكيم الإسلام، وتمثّل هذا الاختيارُ في بيعتي العقبة الأولى والثانية. والخلفاء الراشدون لم تثبت الخلافة لأيّ منهم، إلا بعد أن بايعهم أكثر المسلمين آنذاك.

٢- كما يرفض الإسلام أخذ الحكم بالقوة أو توريثه في سلالة معيّنة. فقد مات النبي ﷺ دون أن يعيّن خليفة من بعده، مع ما في ذلك من احتمال أن يتنازع الناس من بعده وتضيع في لحظة كلّ جهود النبي ﷺ طوال ثلاث وعشرين سنة. فهل أغفل النبي ﷺ ذلك ساهياً، وهو بيّن تفاصيل قضايا أقلّ أهميّة، مثل قضايا النظافة واللباس؟! لقد أراد النبي ﷺ أن يؤكّد أن تعيين رئيس الدولة إنما هو حق للأمة وباختيارها، دون فرض من أحد أو وصاية من أحد.

٤- الشورى

المقصود بـ (الشورى) :

أن تكون إدارة شؤون الناس واتخاذ القرارات بشأن ذلك، على أساس جماعي يقوم على اختيار الناس ورضاهم واستشارتهم، ثمّ السير وَفق ما يشيرون به، بدل تفرّد الحاكم وحده بالقرار في كل ذلك. ومن مظاهر الحكم الشوري في الإسلام:

١- أنّ الحاكم في الإسلام لا يُبرم أمراً عاماً إلا بعد أن يستطلع أراء الناس وأولي الرأي فيهم خاصة. والإسلام لا يعرف « الحاكم المُلهَم» ولا « الزعيم المسدد» ولا « القائد المعصوم»، الذي يرى ما لا يراه الناس ويبصر ما لا يبصرونه. بل لقد قال تعالى في ذم فرعون: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ غافر: ٢٩

ولو كان لأحد من حقّه أن يزعم الإلهام والاستغناء عن رأي الناس وأهل الاختصاص منهم، لكان هو النبي ﷺ لأنه يُوحى إليه. ومع ذلك فإنّ النبي ﷺ كان أكثر الناس استشارة لأصحابه، بل وربما نزل عن رأيه لقول أهل الرأي وانُّهى فيهم.

أ- فقد نزل إلى رأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه في معركة بدر.

ب- واستشار في غزوة أحد، وكان رأيُهُ أن يبقى المسلمون في المدينة، ورأي أكثر المسلمين أن يخرجوا إلى المشركين، فترك رأيه وأخذ برأي الأغلبيّة، وذلك كي يرسم لنا منهجاً في احترام الحاكم لرأي الأغلبيّة.

٤- الشورى

ومن مظاهر الحكم الشوري في الإسلام أيضاً :

٢- أنّ الحاكم يُنتقد ويُساءل باعتباره مسؤولاً عن قراراته وسياساته بل ومسؤولاً عمّا يجري في البلاد في ظلّ حكمه.

ولا يعرف الإسلام حاكماً لا يُسأل عما يفعل، وإنما الذي لا يُسأل عمّا يفعل هو الله تعالى وحده، كما لا يعرف الإسلام حاكماً يلتصق بكرسيّ الحكم لا يتزحزح عنه مهما فعل إلا بالموت أو الانقلاب.

أ- فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يخاطب الناس قائلاً: « إن أحسنت فأطيعوني وإن أسأت فقوّموني».

ب- وخطب عمر بن الخطاب ﷺ في الناس فقال: « اسمعوا وأطيعوا » حتى قاطعه أحدهم قائلاً: (لا سمعاً ولا طاعة يا عمر)، وكان اعتراض الرجل على أنّ كل واحد من المسلمين أصابه ثوب، وعمر أصابه ثوبان، فاستعان عمر ﷺ بابنه عبد الله ﷺ الذي بيّن للناس، أنه إنما أعطى حصته لأبيه، وعندها قال الرجل: (الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين)

٥- ضمان الحقوق والحريّات العامة

كفل الإسلام لكل مواطن في الدولة الإسلاميّة الحقوق والحريّات العامة:

فقد قرّر حرمة كلّ مواطن واحترام نفسه وماله وخصوصياته، ومَنَعَ الحاكمَ أو غيره من الاعتداء عليها. ونقتصر هنا على الحديث في الحقوق السياسيّة، حيث كفل الإسلام هذه الحقوق العامة لكلّ مواطن في الدولة، كحقّه في إبداء آرائه السياسيّة ،ونقد السلطة الحاكمة ، والمعارضة السياسيّة السلميّة، وتكوين أحزاب سياسيّة.

٥- ضمان الحقوق والحريّات العامة

حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي :

إنّ كفالة الإسلام لحقوق الإنسان الخاصة والعامة لا تقتصر على المسلمين فقط، بل تشمل أيضاً غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي.

١- فقد قرّر الإسلام حُرمة نفس كل مواطن وماله واحترام خصوصيته.

٢- وحقّه في التزام دينه وممارسة شعائره حتى لولم يكن مسلماً، في احترام للتعددية الدينيّة على قاعدة: (لكم دينكم وليَ دين).

٣- فغير المسلمين في المجتمع الإسلامي لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فيما يتعلّق بالالتزامات والحقوق المدنيّة.

وقد كان مجتمع المدينة المنورة النموذج الأمثل للعدل والاشتراك في حقوق المواطنة وواجباتها ، بقطع النظر عن المعتقدات الخاصة للمواطنين، وكانت الصحيفة التي وضعها النبي ﷺ أول دستور بشري يؤسس لمفهوم المواطنة على أساس من العدل والأخوّة، فوق كل اعتبار عرقي أو طبقي أو ديني، وفق هَدي القرآن الكريم الذي خاطب البشر جميعاً وكرّمهم، وقرّر وحدة أصلهم وربّهم.

٥- ضمان الحقوق والحريّات العامة

وفيما يخص الجزية المفروضة على غير المسلمين:

١- فإنّ هذه الجزية إنما كانت بمثابة بدل مالي عن حماية الدولة الإسلامية لمواطنيها غير المسلمين، لأن الإسلام لم يكن يلزمهم واجب الدفاع عن دار الإسلام، حتى قال الفقهاء: إنهم إن اختاروا المساهمة في الدفاع عن البلد باختيارهم، تسقط الجزية عنهم.

٢- على أنّ المسلمين بالمقابل يدفعون التزاماً مالياً إجبارياً هو الزكاة، ولكن لما كانت الزكاة ذات دلالة دينيّة تعبّدية تخص المسلمين، فقد أعفى الإسلامُ غيرَ المسلمين منها، وأوجب عليهم التزاماً مالياً تجاه الدولة سمّاه (الجِزية)، مراعاة لمشاعرهم الدينيّة ، فضلاً عمّا في ذلك من تخفيف عليهم، حيث إنّ مقدار الزكاة يفوق مقدار الجزية.

٣- لم تكن الجزية تؤخذ من النساء، والشيوخ المتقدّمين في السن، وذوي الاحتياجات الخاصة، والصغار، والمجانين، والرهبان، والفقير غير القادر مالياً على دفعها.

٢- العلاقات السياسيّة الخارجيّة

وتشتمل هذه الوحدة على العناوين التالية:

١- أهمّ قواعد علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول

٢- الجهاد في سبيل الله: تعريفه، أهدافه، أخلاقه.

أوَّلاً: أهم قواعد علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول

١- الأصل السلم وليس الحرب

٢- أهميّة العلاقات الدبلوماسيّة

٣- إقرار الحصانة الدبلوماسيّة

٤- إقرار المعاهدات ووجوب احترامها

أوَّلاً: أهم قواعد علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول

١ـ الأصل السلم وليس الحرب

إن لجوء المسلمين إلى القتال لا يكون بمبادرة منهم، وإنما يكون ذلك لردّ العدوان والبغي والظلم.

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾

الممتحنة: ٨

٢ـ أهميّة العلاقات الدبلوماسيّة

شرع الإسلام إقامة علاقات دبلوماسيّة بين الدولة الإسلاميّة والدول الأخرى، وأقرّ تبادل السفراء والممثلين الدبلوماسيين، لما في ذلك من :

أ- منافع وتعاون على ما فيه خير البشريّة

ب- وفي ذلك أيضاً فرصة الدعوة إلى الإسلام وإظهار صورته الصحيحة للآخرين.

الدليل: لقد بعث النبي ﷺ الرسل إلى الملوك والزعماء، وكان كلّ رسول يتكلّم بلسان من يُبعَث إليهم، كما استقبل رسل الدول والقبائل الأخرى وأكرم وفادتهم.

أوَّلاً: أهم قواعد علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول

٣- إقرار الحصانة الدبلوماسية

والمقصود بذلك: عدم التعرّض لذات المبعوث الدبلوماسي وعدم القبض عليه، حتى لو أخلّ ببعض قوانين الدولة المُضيفة، وإنّما تُخطر دولته بذلك ويُطلب منها استدعاؤه.

٤- إقرار المعاهدات ووجوب احترامها

شرع الإسلام إبرام الاتفاقيّات والمعاهدات بين الدولة الإسلامية وغيرها، وأوجب على المسلمين احترامها، ما دامت معاهدات تهدف إلى إحلال السلم الدولي وحفظ الحقوق الإنسانيّة والتعاون على كلّ خير.

ثانياً: الجهاد في سبيل الله

يأتي الجهاد في الإسلام على معنيين:

١- الجهاد بالمعنى العام: وهو بذل الإنسان أقصى جهده ووسعه في أوجه الخير كنصرة الحق، وإشاعة الخير، ومطاردة الشر، والسعي في طلب الرزق، والتعلم ، والعبادة ، وتزكية النفس، ومغالبة الأعداء، ومدافعة الشيطان، وتغيير المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ الحج: ٧٧ – ٧٨

٢- الجهاد بالمعنى الخاص: فهو القتال في سبيل الله، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ النساء: ٧٦

ثانياً: أهداف الجهاد في الإسلام

إنّ أهداف الجهاد في الإسلام أهداف إنسانيّة نبيلة وسامية، لإحقاق الحق ونشر الخير والعدل، ومحاربة الظلم والبغي والعدوان.

١ • ردّ العدوان ومحاربة الظلم والإفساد

٢ • نصرة المستضعفين في الأرض

٣ • حماية الحقوق والحريّات الإنسانيّة

ثانياً: أهداف الجهاد في الإسلام

١ـ ردّ العدوان ومحاربة الظلم والفساد

أن الجهاد في سبيل الله تعالى ليس حرباً عدوانياً يبادر بها المسلمون غيرهم، وإنما هو وسيلة إلى صدّ عدوان الآخرين ورفع ظلمهم ووقف إفسادهم، وإلى حماية الأوطان والأنفس والأعراض والمقدّسات، كما قال تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٣٩ ـ ٤٠

أتعلّم: الجهاد مصدر الفعل الرباعي (جاهد)، وفي ذلك معنى المفاعلة والمدافعة، **وهو ما يؤكّد أنّ الجهاد ليس ابتداء بعدوان، وإنما هو مدافعة لعدوان.**

ثانياً: أهداف الجهاد في الإسلام

٢- نصرة المستضعفين في الأرض

فرض الإسلام على المسلمين نصرة المستضعفين في الأرض، أيّاً كانوا وحيثما كانوا، وجعل ذلك غايةً أوجب على المسلم أن يُقاتل في سبيل تحقيقها، وذلك مما يدل على سموّ هذا التشريع وعالميّته وإنسانيّة أهدافه، قال تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

النساء: ٧٥

ثانياً: أهداف الجهاد في الإسلام

٣- حماية الحقوق والحريات الإنسانيّة

إنّ من أهمّ أهداف الجهاد في الإسلام محاربة الاستبداد والتسلّط واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان، وإشاعة جوّ من الحريّة والتسامح والأمن والسلام كي يختار الإنسان ما يريد، ويدين بالدين الذي يشاء دون إكراه من أحد، تحت شعار: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ البقرة: ٢٥٦

ومن الآيات الكريمة التي توضّح هذا، قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾

الحج: ٤٠ حيث جعل من أهداف الجهاد حماية الحريّات الدينية، وتمكين الناس من ممارسة شعائرهم بحريّة تامة.

أتأمل: قدّمت الآية الكريمة الحديث عن حماية معابد الآخرين، على الحديث عن حماية مساجد المسلمين، للإشارة إلى أنّ الجهاد ليس للإكراه على الإسلام، إنما هو لحماية الحريّة الإنسانية والدينية لكل الناس.

صوامع: معابد الرهبان الصغيرة.

بِيَع: معابد الرهبان الكبيرة.

صلوات: كنائس اليهود.

مساجد: دور العبادة للمسلمين.

رابعاً: أخلاق الجهاد في الإسلام

كم يشعر المسلم بروعة هذا الدين وعظمته، حين ينظر إلى الأخلاق التي أوجب الإسلام عليه اتباعها في الحرب، إنه دين الأخلاق الإنسانيّة الرفيعة، حتى في تعامله مع أعدائه المعتدين على حرماته.

نعم، إنّ للحرب في الإسلام أخلاقاً سامية، كما أنّ في السلم أخلاقاً سامية، ولا يجوز للمسلم خرقها، ولا يسوّغ له الإسلام مخالفتها، مهما كانت ظروف الحرب التي يخوضها، ومن أهمّ أخلاق الجهاد في الإسلام:

- رد العدوان بمثله
- تجنّب قتل المدنيين المسالمين
- المعاملة الإنسانيّة للأسرى
- احترام الكرامة الإنسانية
- تجنّب التخريب والإفساد
- احترام العهود

رابعاً: أخلاق الجهاد في الإسلام

١- ردّ العدوان بمثله

أن الحرب في الإسلام إنما هي ضرورة يلجئه الأخرون إليها، والضرورة تقدّر بقدرها، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ البقرة: ١٩٤

ولا يجيز الإسلام للمسلمين إذا اعتُدِيَ عليهم، أن يتجاوزوا الحدّ في ردّ العدوان ، بأن:

١- يبالغوا في استخدام القوة في حق من اعتدى عليهم.

٢- أو يتجاوزوا القدر اللازم لرد العدوان، إلى حدّ أن يصبحوا معتدين وظالمين.

٣- أو يصيبوا من اعتدى عليهم ومن لم يعتدِ عليهم.

ولم يكن الإسلام يوماً ليتعطّش إلى سفك الدماء، أو ليستغلّ عدواناً محدوداً للآخرين ذريعة إلى تدميرهم واحتلالهم والبطش بهم.

رابعاً: أخلاق الجهاد في الإسلام

٢- تجنّب قتل المدنيين المسالمين

- يرفض الإسلام قتل المدنيين في الطرف الآخر المعادي ، مهما كانت الأسباب والمسوّغات، ولو كان يترتّب على ذلك استخدام الطرف المعادي أو سرعة حسم الحرب. وقد نفى القرآن الكريم أيّ سبيل للمسلم على هؤلاء، حين قال: فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ النساء: ٩٠

رابعاً: أخلاق الجهاد في الإسلام

٣- المعاملة الإنسانية للأسرى

- لقد سبق الإسلام معاهدة جنيف والمواثيق الدولية ، إلى إرساء مبدأ معاملة الأسرى معاملة إنسانيّة ، حتى لقد عدّ القرآن الكريم إكرام الأسرى من صفات الأبرار، وقرن الإحسان إليهم بالإحسان إلى المسكين واليتيم، قال تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الإنسان: ٨

رابعاً: أخلاق الجهاد في الإسلام

٤- احترام الكرامة الإنسانية

- إنّ أخلاق الإسلام لا تقتصر على معاملة الأحياء من المعادين معاملة إنسانيّة إذا وقعوا في الأسر، بل تمتد لتشمل من مات منهم يقاتل المسلمين بغياً وعدواناً، فالإسلام:

١- حرّم التمثيل بالجثث في المعارك، حتى لو كان ذلك رداً على تمثيل الأعداء بجثث المسلمين.

٢- وكان الرسول ﷺ يأمر بدفن القتلى في المعارك دون أن يسأل أَمسلم صاحبها أم كافر.

رابعاً: أخلاق الجهاد في الإسلام

٥- تجنّب التخريب والإفساد

- إنّ من دأب البشر في الحروب أن يستبيحوا كلّ شيء، وأن يدمروا كل شيء، وعجيب هو الإسلام الذي ينهى أتباعه عن الإفساد حتى في الحرب، كما نهاهم عن الإفساد في السلم، فلا يجوز للمسلم في الحرب:

١- أن يقطع الشجر ويحرق الزرع ويهدم البيوت بهدف الفساد.

٢- ولا يجوز له أن يستعمل أسلحة الدمار الشامل التي تحرق الأرض وما عليها من شجر وحيوان وإنسان.

وممّا جاء في وصايا أبي بكر ﷺ لأمراء الفتح الإسلامي قوله: (ولا تخربوا عِمراناً، ولا تقطعوا شجرة إلا لِنفع، ولا تعقِرُنّ بهيمة إلا لنفع، ولا تحرقنّ نخلاً ولا تغرقنّه)

رابعاً: أخلاق الجهاد في الإسلام

٦- احترام العهود

- أوجب الإسلام على المسلمين احترام معاهداتهم مع غيرهم، حتى وإن خالفوهم في الدين والتوحيد، وعدّ الوفاء بها من مقتضيات التقوى، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ التوبة: ٤